

العفة: فضائلها، أسبابها، ثمراتها- خطبة لسماحة المفتي عبد العزيز آل الشيخ

الشيخ عبد العزيز آل الشيخ 1430-7-24

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ به من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه، وعلى آله، وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

أما بعد:

فيا أيها الناس، اتقوا الله تعالى حق التقوى.

عباد الله، إن من أعظم الخصال التي يتخلق بها المسلم، وتكون منهجه في حياته، عفته عن محارم الله، الذي تساهل به الكثير، والجنة الذي يتمنى كل مؤمن أن ينالها محفوفة بالمكاره، ولن تنالها بتوفيق الله إلا النفوس العفيفة الطاهرة، ولن تكون النفوس طاهرة إلا بالاستقامة على طاعة الله، ومخالفة الهوى ومصارعة الشهوات، والبعد عن الفحشاء والمنكر، ولذا أمر الله بالعفة فقال مخاطباً من ينوي الزواج: (وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُعْطِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ)؛ فمن كان غير قادراً على النكاح لقصور النفقة أو أخرى؛ فعليه بالعفة عن محارم الله، ليفتح الله عليه باب الحلال، ويبسره له، وإذا كان مأموراً من...العفاف كالمترجح أيضاً من باب أولى.

أيها المسلم، والعفة منزلتها رفيعة، والعفيف منزلته رفيعة، وثوابه عند الله جزيل، ولذا جاء في السنة جاء بالسنة فضل العفة عن محارم الله؛ فيقول -صلى الله عليه وسلم-: "من يضمن لي ما بين رجليه ولحييه، أضمن له الجنة"، يعني الفرج واللسان، ومن فضائلها: أن العفيف أحد السبعة الذين يظلمهم الله تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله، ولما عد النبي -صلى الله عليه وسلم- السبعة الذين يظلمهم الله تحت ظله، قال: "ورجل دعت امرأته ذات منصب وجمال؛ فقال: إني أخاف الله"، ومن فضائل: العفة أنها سبب للنجاة من المضائق، والتخلص من الهموم والمشاكل؛ فجاء في الصحيح في قصة أصحاب الغار، الذين انطبقت عليهم الصخرة أن أحدهم توسل إلى الله بقوله: "اللهم كان لي ابنة عم وكنيت أحبها أشد ما يحب الرجال النساء؛ فأردتها عن نفسها فأبنت حتى أمت بها سنة؛ فأتنتي فأعطيتها عشرين ومئة دينار أن تخلي بيني وبين نفسها؛ فلما قعدت بين رجليها قالت: اتق الله، ولا تفض الخاتم إلا بحقه؛ فقامت عنها، وهي من أحب النساء إلي، وتركت العشرين ومئة دينار لها، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجه الله؛ فأفرج عنا ما نحن فيه؛ فانفرجت الصخرة شيئاً"، ومن فضائل العفة أن من عفا عن محارم الله حما الله نسائه وأهله من الحرام، بتوفيق من الله، عفو تعف نساءكم، ولهذه العفة أسباب تهيئها بتوفيق من الله؛ فمن أسباب العفة، ومن أسباب حصول العفة تقوى الله جل وعلا بالسر والعلن؛ فإن تقوى الله أعظم رباط عن المعاصي وراوع عن المحرمات، وتقوى الله مع العبد في حله وترحاله في سره وعلانيته، ومن أسباب العفة أيضاً حفظ الجوارح عن محارم الله؛ فيحفظ بصره عن النظر إلى ما حرم الله النظر إليه: (قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ)* وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَعْضُنَّ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ (الآية، وكذلك يحفظ لسانه من الخضوع بالقول، قال جل وعلا مخاطباً نساء النبي: (فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ)، ويحفظوا لسانه فلا يخضعوا بالقول، ويحفظوا سائر جوارحه، وجاء أن يطعن أحدكم بمخيط في رأسه أيسر عند الله من أن يمس امرأة،

من أن يلمس لا تحل له، ومن أسباب العفة: الزواج مبكرا فإن إرواء الغريزة مبكرا مما يحول بين المرء وبين المعاصي بتوفيق الله، وفي الحديث: "يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة؛ فليتزوج فيه أظ للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم؛ فإنه له وجاء"، ومن أسباب المحافظة على العفة: عدم الخلوة بالمرأة الأجنبية التي ليست من محارمك يقول صلى الله عليه وسلم: "ياكم والدخول على النساء"، قال رجل: يا رسول الله أرأيت الحمى -أخو الزوج-، قال: "الحمى الموت"، وقال: "ما خلى رجل بإمرأة إلا كان الشيطان ثالثهما"، ونهى أن يدخل الرجل على المرأة إلا بمحرم، ولا يخلوا بها إلا بمحرم، ومن أسباب العفة بتوفيق الله: ترك التبرج وبقاء المرأة في بيتها إلا عندما يدعوا داعي أو ملّمت يقول الله جل وعلا: (وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى)، ومن أسباب العفة، الاستئذان عند الدخول، وهو استئذان خاص وعام قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا)، وإنما جعل الاستئذان لأجل البصر، وقال للاستئذان الخاص: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيْسَتْ ذُنُوبُ الَّذِينَ آمَنُوا لَيْسَتْ ذُنُوبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَمَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَلْلَعُوا الْحُلْمَ مِنْكُمْ..) الآية، ومن أسباب العفة: التربية الصالحة تربية النفوس على التقوى تربية الصغار على العفة والسلامة وحملهم على الأخلاق الكريمة: "مروا أبناءكم للصلاة وهم أبناء سبع، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع"، وتربية النفس على الطاعة لله، وامتنال أو امره من أسباب العفة عن معاصي الله، ومن أسباب العفة أيضا: الاستعانة بالله والالتجاء إليه أن يثبتك على الحق، وأن يصرف عنك السوء والفحشاء، قال تعالى عن نبيه يوسف -عليه السلام-: (كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ)، وقال عنه ملتجأ إلى الله مما حل به: (وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ*فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)، ومن أسباب العفة إقلمة حدود الله؛ فإن إقلمة حدود الله تذكر المجرم بالأمها، وتردع من يريد السوء والفساد.

أيها المسلم، أيها المسلم، إن تقوى الله جل وعلا خير رادع عن المعاصي وواق عن المحرمات، والإيمان القوي يحدث بالقلب خوف الله، والحياء منه، وتذكر الدار الآخرة؛ فكلمنا تذكر عظمة الله خاف من ربه، وكلمنا تذكر نعم الله استحيا من ربه، وكلمنا تذكر الآخرة دعاه إلى ترك الشهوات، والإقبال على الله بالأعمال الصالحة ومخالفتها والنفس الداعية إلى السوء.

أيها المسلم، وإن ثمار العفة كثيرة؛ فمن أعظم ثمار العفة سلامة المجتمع من هذه الأمراض الخطيرة، سلامة المجتمع من هذه الفواحش، والبعد عنها: (وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانَةَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا)، سلامة المجتمع من أضرارها الخطيرة المترتبة على فشوئها من الأمراض الخطيرة، التي تؤذّن بدمار المجتمع وفساده، ومن ثمار العفة أيضا: نقاء المجتمع وسلامته وأمنه واستقراره؛ فلا ترى متبرجة ولا متسكعا من الشباب، بل يكتفي الإنسان بما أباح الله له عما حرم عليه، ومن ثمراتها أيضا: أن أي عين عفت عن محارم الله؛ فإنه سبب للوقاية من عذاب الله، في الحديث: "ثلاثة أعين لا تمسهم النار عين باتت تحرس في سبيل الله، وعين بكت من خشية الله، وعين عفت عن محارم الله"، ومن ثمراتها أيضا: حصول اللذة بما أباح الله، واكتفاء الإنسان بما أباح الله له عما حرم عليه؛ فتلك النعمة العظمى هكذا العفة عن محارم الله معشر المسلمين؛ فعلى المسلم تقوى الله، وعليه مراجعة نفسه دائما، وأبدا، وعليه أن يجاهد نفسه من وساوس الشيطان، وما يزين له من لذات الشهوات التي قد يمارسها وينسى آثارها السيئة المترتبة عليها من ضعف الإيمان وخوفه من الله.

أسأل الله أن يثبتنا وإياكم على دينه اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك، وبطاعتك عن معصيتك، وبفضلك عما سواك.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب؛ فاستغفروه، وتوبوا إليه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

أما بعد:

أيها الناس، اتقوا الله تعالى حق التقوى.

عباد الله، دين الإسلام ربي المجتمع على الأخلاق والقيم والفضائل، ونهى بهم عن الرذائل، ربي المجتمع على أن يكون مجتمعاً نظيفاً متعاوناً على البر والتقوى، بعيداً عن رذائل الأخلاق والأعمال، مجتمعاً يسوده الأمن والاستقرار، إن دعاء الفجور، ودعاة التحلل من القيم والفضائل، إنما غرضهم أن يصبغوا المجتمع المسلم بصبغة غير إسلامية، وأن يحول المجتمع المحافظ على دينه وأخلاقه وقيمه إلى مجتمع منهار القيم والأخلاق، إن قيامها بقيام أخلاقها وعقيدتها السليمة، وانهارها بفساد أخلاقها وضعف العقيدة في النفوس.

أيها المسلمون، إن أعداء الشريعة الذين يروجون التحلل من القيم والفضائل لهم شبه يدلون بها؛ فمرة يقولون أنه لا بد لإعطاء النفوس مناها وترفيفها عن كل وترفيفها وجعلها ترى وتشاهد ما تفرج به همومها وهذا كله من المغالطات فإن مقصودهم بذلك فتح الشر على مصراعيه، وعدم الغيرة على محارم الله.

أيها المسلمون، من المعوقات للعفة: الفساد الإعلامي في كثير من القنوات الباطلة، التي تضع فيها العفة، وتعلو فيها الرذيلة هذه القنوات والمننديات، التي توجه سمومها ضد القيم والأخلاق فتضيع العفة وتنتشر الرذائل ومن أسباب ذلك أيضاً انخداع البعض واغتراره بما عليه الأعداء من فساد في أخلاقهم وقيمهم، ينظر إلى فساد الأخلاق والقيم ويغتر بذلك، ولا ينظر إلى ما أصابهم من التهور وما أصابهم من الأمراض الفتاكة، التي حارت بها عقولهم وضعفت بها نفوسهم وأصبحوا يعانون من تلك الأمراض والأوبئة، ما أقاموا لأجل المستشفيات، وأنفقوا الأموال الطائلة ليعالجوا تلك الأمراض الفتاكة، التي حلت بهم بأسباب سخط الله، واستباحة المحارم، والانغماس في الرذائل، ومن ذلك أن بعضهم يقول: إن المرأة أو الشاب أو الشابة لا بد أن يمضوا شبابهم في عدم التقيد وهذا كله من المصائب فإن من نشأ على شيء شاب عليه، ومن شاب على شيء مات عليه؛ فلا بد من المحافظة على القيم، والمحافظة على الأخلاق إن الاختلاط بلاء عظيم سواء اختلاط عام أم خاص؛ فالاختلاط بين الجنسين في ميادين العمل من أعظم وصمة على الإسلام وأهله، بل هو يفتح باب الشر على مصراعيه، إن الاختلاط بين الجنسين يقضي على الحياء والفضيلة، والعفة والشرف والكرامة، ويزحزح أمن المجتمع ويدمر الأخلاق والفضائل، إن الاختلاط جريمة لا يرضى بها من في قلبه مثقال ذرة من إيمان، يرفضها كل مسلم، ولا يرضاها لنفسه، ولا لبنائه، ولا لأخوته ولا لأحد المسلمات، ولا يرضى بالاختلاط إلا من أصيب بدينه من أصيب في أخلاقه وعقيدته، من لم يكن

إيمانه إيماناً صادقاً، والاختلاط سواء عام أو حتى بين العوائل الاختلاط بين غير المحارم أمر منهي عنه فلا بد للمسلم انتظام في سلوكهم، والمحافظة على أعراضهم، واعتقاد أن الاختلاط جريمة نكراء، وبلية من البلايا، نسأل الله أن يظهر مجتمعات المسلمين من شرها وبلائها؛ فهي أعظم وسيلة لإفساد الأخلاق وانتشار الفواحش والأمراض الخطيرة والأوبئة هي مصيبة بلا شك، وإن أمة الإسلام بإمكانهم التخلص منها، إن الاختلاط سواء في مدرج الجامعات أو في المستشفيات أو في ميدان العمل أو في أي أمر من الأمور؛ فكل اختلاط فإنه يصحبه كل شر وفساد، وكل اختلاط منذر بعقوبة من الله ومنذر بشر وبيل؛ فعلى المسلم تقوى الله في نفسه، وتصور أن هذه القيم والأخلاق الإسلامية هي خير وسيلة لتربية النفوس وإقامة نهجها من أخلاقها، نسأل الله لنا ولكم الثبات على الحق والاستقامة على دينه: (رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ).

واعلموا -رحمكم الله-: أن أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد -صلى الله عليه وسلم-، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة، وعليكم بجماعة المسلمين، فإن يد الله على الجماعة، ومن شذ، شذ في النار.

وصلوا -رحمكم الله-: على عبدالله ورسوله كما أمركم بذلك ربكم، قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا).

اللهم صلي على محمد وعلى آل محمد وارض اللهم عن خلفائه الراشدين الأئمة المهديين: أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وعن سائر أصحاب نبيك أجمعين، وعن التابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنا معهم بعفوك وكرمك وجودك وإحسانك يا أرحم الراحمين.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين وأذل الشرك والمشركين، ودمر أعداء الدين وانصر عبادك الموحدين، واجعل اللهم هذا البلد آمناً مطمئناً وسائر بلاد المسلمين يا رب العالمين، اللهم آمناً في أوطاننا وأصلح أئمتنا وولاة أمرنا، اللهم وفقهم لما فيه صلاح الإسلام والمسلمين، اللهم وفق إمامنا إمام المسلمين عبدالله بن عبدالعزيز لكل خير، اللهم أمده بعونك وتوفيقك وتأيدك، اللهم كن له ناصرًا ومؤيداً، اللهم اجمع به كلمة الأمة ووحده به صفوفها على الخير والتقوى إنك على كل شيء قدير، اللهم شد أزره بولي عهده سلطان بن عبدالعزيز اللهم وفقه وبارك له في عمره وعمله، واليسه ثوب الصحة والسلامة والعافية، اللهم وفق النائب الثاني نايف بن عبدالعزيز لكل خير وأعنه على مسؤوليته إنك على كل شيء قدير.

ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا، ربنا إنك رؤوف رحيم، ربنا ظلمنا أنفسنا، وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين، ربنا آتانا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

عباد الله، إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون؛ فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم، واشكروه على عموم نعمه يزدكم، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.